البـــديع

فى

شـــعـر البســـتى

دكتور

غريب محمد على أحمد

مدرس الأدب العربى

كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى

البـديع
فـى شـعر البسـتى

مقدمة :

تقترن شهرة البستى بكثرة حكمه ومواعـظه المبثوثة فى تضاعيف شعره ، ولكن أحدا لم يقف عند فن الـبديع فى شعر الرجل رغم الإشارات المتكررة والاعتـرافات المتعددة بأنه صاحب الطريقة الأنيقـة فى فن البديع وخاصة فى التجنيس ظنا بـأن البديع نوع من الحلى والزخرفة اللفظية التى لا طائل من ورائها ولا جدوى من دراستها مع أن البلاغيين [1] يرون أن البديع هـو الغاية التى ينتهـى عنـدهـا علم المعانى والبيان بل هو - كما يقول العلوى - « خلاصة علم المعانى والبيان ومصاص سكرهما » [2] .

ويضرب العلوى مـثالا لأهمية علم البديع وعـلاقته بعلمى المعانى والـبيان فيرى أن الكلمات والألفاظ أشبه بحبات الذهب والدرر والـلآلئ واليواقيت وأنواع الأحجار النفيسة التى يُؤلَّف بينها تأليفا بديعا وتُركَّب تركيبا أنـيقا ، ثم بعد التأليف تُجعل تاجا على الرأس أو طوقا فى الـعنق أو قرطا فى الأذن « فـالألفاظ الرائقة بمـنزلة الدرر واللآلئ وهـو علم المعانى ، وتأليفها وضم بعضها إلى بعض هـو علم البيان ، ثم وضعها فى المواضع اللائقة بها عند تأليفها وتركيبها هو علم البديع » [3] .

ومعنى ذلك أن عـلم البديع هو قمة البلاغـة ولا غناء للأدباء عنه ولا غناء لـلباحثين عن درسه فهو ليس دراسة هامشية يجب أن نعزف عنها .

---

(١) وهناك من يحمل علـى البديع وخاصة الجناس مثل ابن رشيق الذى يـرى أنه نوع من الفراغ ، ومثل ابن حجة الحموى الذى يرى أن الجناس لايحتاج إليه إلا من قصرت همته عن اختراع المعانى .

(٢) الطراز : العلوى ، جـ ٣ ، ص ٣٤٧ . ط دار الكتب العلمية ، بيروت

(٣) الطراز : جـ ٣، ص ٢٤٨ .

إنه العلم الذى يهتم بالتنويعات اللفظية والتناسق والتوازن بين الكلمات ، والذى يمكن أن نطلق عليه « علم الأنسقة البلاغية » أو « علم العلاقات البلاغية » ، وتنقسم هذه العلاقات إلى علاقات معنوية وعلاقات لفظية .

والحاجة ملحة إليه لفهم طبيعة الشعر ، وهو يدل على تفنن الشاعر فى صنعته وتمكنه فى هذه الصنعة .

والحق أن البستى قد استطاع أن يتقن هذه الصنعة اتقانا ويتفنن فى إقامة علاقات قوية بين ألفاظ شعره ، إلى درجة أن هذا العلم - فى تصورى - قد انتهى عنده إلى غاية الغايات التى لا مزيد عليها .

ومن ثم كانت هذه الدراسة التى تحاول أن نستبين تلك العلاقات البلاغية والهندسة اللغوية فى شعر البستى .

الشاعر :

هو أبو الفتح على بن محمد البستى [1] ، أديب إيرانى مشهور عرف بذى اللسانين ؛ فلقد نظم أشعارًا بالفارسية والعربية ، عاش فى القرن الرابع الهجرى ، ولا ندرى على

(١) اتفقت المصادر على أن اسم الشاعر هو « على » ولكنها اختلفت بعد ذلك حول اسم أبيه فبينما يذكر الثعالبى وابن تغرى بردى وابن العماد الحنبلى والذهبى وابن كثير أن اسم الأب هو « محمد » نرى السمعانى يقول حينما يعرف بالشاعر إنه على بن أحمد ، ونرى صاحب معجم البلدان وصاحب طبقات الشافعية لايستقران على أمر فيقولان إن الشاعر هو « على بن محمد ويقال أحمد » أو « قيل أحمد » ، وأما دائرة المعارف الإسلامية ود. عمر فروخ والزركلى فإنهم يتابعون ماذهبت إليه غالبية المصادر من أن اسم والد البستى هو « محمد » .

- ونلاحظ بعد ذلك سقوط اسم « يوسف » وهو الجد الثانى للشاعر - من سلسلة نسبه فى معجم البلدان ، كما نلاحظ تردد السبكى حول اسم الجد الأول للشاعر هل الحسين أم الحسن .

ويمكن أن نخرج من خلال ذلك كله أن الشاعر البستى هو « على بن محمد بن الحسين بن يوسف ابن محمد بن عبد العزيز » مطمئنين فى ذلك إلى ما رواه أغلب المؤرخين والمترجمين .

- انظر فى ذلك :

- يتيمة الدهر - الثعالبى جـ ٤ ص ٣٤٥ - تحقيق د. مفيد محمد قميحة - ط دار الكتب العلمية - لبنان .
- النجوم الزاهرة - ابن تغرى بردى - جـ ٤ ص ٢٢٨ ط دار الكتب المصرية .
- وفيات الأعيان - ابن خلكان - جـ ٣ ص ٥٩ ط دار الثقافة - بيروت .
- شذرات الذهب - ابن العماد الحنبلى - جـ ٣ ص ١٦٠ ط المكتب التجارى .
- الأنساب - السمعانى - جـ ٢ ص ٢٢٤ - ط ١ دائرة المعارف العثمانية .
- العبر - الذهبى - جـ ٣ ص ٧٥ - تحقيق فؤاد سيد ط الكويت سنة ١٩٦١ .
- طبقات الشافعية - السبكى - جـ ٥ ص ٢٩٣ تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح الحلو/ ط الحلبى .
- البداية والنهاية - ابن كثير - جـ ١١ ص ٣٤٥ - ط السعادة .
- معجم البلدان - ياقوت الحموى - جـ ١ ص ٤٩٢ - ط أولى - دار الكتب العلمية - لبنان سنة ١٩٩٠ م .
- الأعلام - الزركلى - جـ ٤ ص ٣٢٦ ط دار العلم للملايين - لبنان .
- دائرة المعارف الإسلامية - مجموعة مؤلفين - مجلد ٧ ص ٢٣٠ .
- تاريخ الأدب العربى - د. عمر فروخ - جـ ٣ ص ٤٩ - ط ٤ دار العلم سنة ١٩٨٤ .

وجه اليقين تاريخ ميلاده . فلقد أغفلت المصادر ذلك تمامًا [١] ، بينما صرَّحت بأنه توفى سنة ٤٠٠ هـ أو سنة ٤٠١ هـ .

ولد أبو الفتح فى بُست وهى [مدينة بين سجستان وغزنين وهراه][٢] ويعتقد صاحب معجم البلدان أنها من أعمال كابل .

وفى بست نشأ الشاعر وتربى ، وفيها درس [الحديث والفقه والأدب وكان تلميذا للمحدث ابن حيان][٣] ، وعمل فى بداية حياته [معلما للصبية فى بست][٤] ثم عمل وهو شاب كاتبا عند باتيوز حاكم بست فى عهد الدولة السامانية ، ولما استطاع سبكتكين أن يستولى على بست سنة ٣٦٧ هـ لمع نجم الشاعر ، فلقد رفعه سبكتكين إلى درجة علية وأحلّه - كما يروى الثعالبى - [محل الثقة الأمين عنده فى مهمات شأنه وأسرار ديوانه][٥] .

ولكن يبدو أن حساد الشاعر قد بدأوا ينفثون سمومهم ، ويلوون ألسنتهم بالقدح فيه مما جعله يستأذن سبكتكين فى أن يعفيه من الخدمة فى الديوان ريثما يستقر الأمر فيكون ما يأتيه بعد ذلك [من هذه الخدمة أسلم من التهمة وأقرب إلى السداد وأبعد عن كيد الحساد][٦] ، فارتاح الأمير لذلك وأشار عليه بالتوجه إلى ناحية الرخج بالقرب من نيسابور ، وهناك تبوأ الشاعر من أرضها ما شاء إلى أن أتاه استدعاء الأمير فمثل بين يديه وأُحِلَّ هناك مكانا عليا .

وصار الشاعر [من بعد ينظم بأقلامه منثور الآثار عن حسامه وينسج بعباراته وشى فتوحه ومقاماته][٧] .

ولما كانت ولاية يمين الدولة محمود بن سبكتكين انتقل الشاعر إلى خدمته ، ولكن

(١) ما عدا د. عمر فروخ الذى أشار إلى أن الشاعر ولد نحو سنة ٣٣٠ هـ ولكنه لم يقدم دليلا يستند عليه فى ذلك .

(٢) معجم البلدان / جـ ١ ص ٤٩٢ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية / جـ ٧ ص ٢٣٠ .

(٤) تاريخ الأدب العربى - د. عمر فروخ - جـ ٣ ص ٤٩ .

(٥) يتيمة الدهر / جـ ٤ ص ٣٤٦ .

(٦) يتيمة الدهر / جـ ٤ ، ص ٣٤٦ .

(٧) اليتيمة / جـ ٤ ص ٣٤٧ .

جفوة حدثت بينهما فنفاه السلطان محمود إلى بلاد الترك (ما وراء النهر) فعاش هناك حتى وافته المنية فى بخارى .

مكانته الأدبية :

عرف المؤرخون وكتاب التراجم والسير مكانة البستى الأدبية إلى درجة أن صاحب اليتيمة كان يتمنى رؤيته وقربه وكان يرى أنه طلع عليه ﴿ بنيسابور طلوع القمر ﴾[١] ورآه ﴿ يغرف فى الأدب من البحر وكأنما يوحى إليه فى النظم والنثر ﴾[٢] .

وأما السبكى فيقول : إن البستى كان ﴿واحد عصره . . . أديبا مطلقا نظما ونثرا﴾[٣] .

ونقرأ مع السمعانى قوله : إن البستى ﴿ هو واحد عصره فى الفضل والعلم والشعر والكتابة ﴾[٤] .

وأما ابن تغرى بردى فيطالعنا بقوله : إنه ﴿ صاحب النظم الرائق والنثر الفائق ﴾[٥] .

وفى الشذرات يحدثنا ابن العماد الحنبلى عنه فيقول ﴿ أبو الفتح الشاعر المفلق . . . الكاتب شاعر وقته وأديب ناحيته ﴾[٦] .

وهذه الأقوال كلها تدلنا على المكانة الأدبية التى تبوأها البستى بين شعراء عصره ، كما تدلنا على بعض من خصائص وسمات شعره .

مكانة البستى فى فن البديع :

ويسوق هؤلاء المؤرخون والمترجمون مع هذه الدلائل التى تشير إلى مكانة البستى الأدبية شهادة أخرى تدل على ما وصل إليه الشاعر من مكانة عالية فى فن البديع ، فلا أحد ينكر أنه كان ﴿ صاحب الطريقة الأنيقة فى التجنيس الأنيس البديع

(١) ، (٢) اليتيمة جـ ٤ ص ٣٤٥ .
(٣) طبقات الشافعية - جـ ٥ ص ٢٩٣ .
(٤) الأنساب - جـ ٢ ص ٢٢٦ .
(٥) النجوم الزاهرة / جـ ٤ ص ٢٢٨ .
(٦) الشذرات / جـ ٣ ص ١٥٩ .

التأسيس [1] والذى يعد أحد أعلامها . فلقد حلى شعره بالبديع وتصنع فيه تصنعا إلى درجة أنه كان - كما يذهب إلى ذلك د. شوقى ضيف - [من عوامل إذاعته وانتشاره فى الأوساط الأدبية الإيرانية] [2] .

وإذا كان مسلم بن الوليد هو صاحب مذهب البديع الذى أطلق عليه د. شوقى ضيف « مذهب التصنيع » [لأنه أول من عاش لهذا المذهب ينميه] [3] ، وجاء من بعده مجموعة من الشعراء تناولوا هذا المذهب ونموه حتى وصل الأمر إلى أبى تمام فبلغ به الغاية ، فإن هذا المذهب قد أوفى به البستى وبلغ غاية الغايات التى لا مزيد عليها ، وتصنع فى هذا الأمر تصنعا عجيبا وأسرف فى بعض ألوانه إسرافا واضحا .

ولكن يجب أن لانحمل على تصنع البستى وندعى بأن هذا المذهب الذى انتحاه كان سببا فى ضعف شعره أو ركاكته فالحق أنه [كان ينفذ فى أحيان كثيرة إلى استخدام رشيق للمصطلحات والجناسات] [4] .

ويبدو أن السبب فى تصنع البستى هو إطلاعه على أشعار السابقين وتأثره بهم ، ولايبعد أنه نمى هذه الصنعة [بعد أن سمع فى شبابه أحجية عن الشاعر شعبه بن عبد الملك] [5] الذى كان يستخدمه الجناس ، فاستحسنه البستى ، وسار على طريقته حتى صار الجناس عنده غاية وهدفا من وراء صنع أشعاره .

---

(١) وفيات الأعيان / جـ ٣ / ص ٣٧٦ والشذرات ، جـ ٣ ص ١٥٩ ، وتيمة الدهر جـ ٤ ص ٣٤٥ ومفتاح السعادة / طاش كبرى زاده جـ ١ ص ٢٨٠ وغيرهم .

(٢) عصر الدول والإمارات / (الجزيرة - العراق - إيران) د. شوقى ضيف ، ص ٦٣٣ ط دار المعارف سنة ١٩٨٠ . .

(٣) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، د. شوقى ضيف ، ص ١٧٨ ط دار المعارف سنة ١٩٧٨ . وقد آثر د. شوقى ضيف أن يسميه « التصنيع » لأن كلمة البديع معناها الطريف ولاتعطى معنى الزخرفة والزينة بخلاف كلمة تصنيع التى تدل بمعناها على التأنق والتنميق » الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٧٦ .

(٤) عصر الدول الإمارات (الجزيرة - العراق - إيران) ص ٦٣٣ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٧ ص ٢٣٠ .

البديع فى شعر البستى :

يجدر بى قبل الخوض فى فنون البديع عند البستى أن أقدم إحصائية لشعر البستى الذى وصل إلينا من خلال ديوانه ومن خلال المصادر والمظان المختلفة ، ومن هذه الإحصائية يتبين لنا ضرورة جمع شعر الرجل مرة أخرى وتحقيقه ودراسته وتوقفنا الإحصائية أيضًا على مدى ما نظمه الشاعر من شعر .

النـــوع	العدد فى الديوان	مجموع الأبيات	العدد فى المصادر والمظان المختلفة	مجموع الأبيات
القصائد	١٤	١٦٣	--	--
المقطعات	١٢٠	٤٤١	٣٣	٩٣
النتف	٢٢٨	٤٥٦	٥٠	١٠٠
الأبيات المفردة	١٣	١٣	٦	٦
المجموع		١٠٧٣		١٩٩
المجموع الكلى	١٢٧٢ (اثنان وسبعون ومائتان وألف بيت)			

ورغم هذا الكم من الشعر الذى يبدو قليلا فى ظاهره بالنسبة لما نظمه شعراء آخرون فإنه عج بمجموعة هائلة وكم وفير وأنواع مختلفة من البديع تفوق ما يمكن أن يوجد عند شعراء نظموا أكثر من ذلك .

ولو أتينا بما يساوى هذه الأبيات عددا لشعراء معروفين بفن البديع - رغم أن البستى ليس عربيا - فإننا سنجد البستى قد تفوق فى تناول هذا الفن عددا ونوعا وتكثيفا وتوظيفا ؛ ومن ثم يجدر بى أن أضع أمام القارئ إحصائية تقريبية تبين أهم أنواع البديع المبثوثة فى شعر البستى ، ولا أستطيع أن أدعى أنها دقيقة كل الدقة لكنها على أية حال هى أقرب إلى الدقة فلربما فاتنى بعض من إحصاء هذه الأنواع أو إحصاء عددها ، وهذه الإحصائية على النحو التالى :

العلائق الصوتية المحسنات اللفظية		العلائق المعنوية المحسنات المعنوية	
النـوع	العـدد	النـوع	العـدد
الجناس	٣٥٢	الطباق	١٣٣
رد العجز على الصدر	٨١	المقابلة	لاتتجاوز عشرين مرة تقريبًا
الترصيع	١٤	التورية	٤٢
التصريع	معظم القصائد والمقطعات والنتف	المذهب الكلامى	٢١
التقفية	ملتزم بها ما عدا الأبيات المفردة		
المراجعة	٨		
التوشيع	٥		
لزوم ما لايلزم	كثير فى شعره		
الإرصـاد			قليل لايتجاوز ثلاثين مرة
ملحوظـة : هـذه الإحصائيـة تقريبيـة			

العلاقات الصوتية « المحسنات اللفظية » :

هى تكـرار لوحدات صوتيـة معينة تحـدث لدى المتلـقى نوعا من الـتأثير قائـم على تنغيمات دالة على الـقدرة على التلاعب بالألفاظ بعد تمكن من الصنعـة الشعرية ، وتتميز هذه التنغيمات بخواص شكلية معينة .

إن هذه العلاقات الصوتـية بين الألفاظ ما هى إلا نوع من « التزاوجات المـنتظمة فى الشعر » [1] حيث يقوم الشاعر بتشكيلها فى هيئة حزم صوتية .

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص / د. صلاح فضل / ص ١٧١ ط أولى سنة ١٩٩٦ - دار نوبار للطباعة القاهرة . سلسلة أدبيات .

وهذه الحزم الصوتية هى ما تسمى بالمحسنات اللفظية أو كما يحلو للبعض أن يسميها « التنويعات اللفظية » أو « العناصر الإيقاعية » أو « التكرار النمطى » [١] .

والحق أن البستى قد استطاع أن يقيم علاقات صوتية كثيرة بين ألفاظ شعره ، وأن يحدث إيقاعات ذات تناسب صوتى لها مطالب دلالية فى كثير من الأحيان .

وهذا المستوى الصوتى الذى استطاع البستى أن يقيمه ، وأن ينضد ألفاظ شعره فيه يتمثل فى عدة علاقات صوتية أو إيقاعات لها أنماط مختلفة أهما ما يلى :

١ - الجناس : « التجنيس »

يعد الجناس من أكثر الألوان الصوتية التى اهتم بها البلاغيون حيث أفرد له البعض فصولا مطوله فى كتبه ، وصنف البعض كتبا مستقلة فيه [٢] .

ولأهمية الجناس جعله ابن المعتز بابا من أبواب البديع الخمسة التى بنى عليها كتابه [٣]، وقد عرّفه بقوله « أن تجيئ الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام ، ومجانستها لها أن تشبهها فى تأليف حروفها » [٤] .

(١) البلاغة والأسلوبية / د. محمد عبد المطلب / ص ٢١٥ ، ص ٢١٦ / ط الهيئة المصرية سنة ١٩٨٤ .

(٢) من الذين كتبوا فصولا مطولة فى الجناس : ابن حجة الحموى رغم أنه يعترف بأن الجناس ليس مذهبه - انظر : خزانة الأدب / جـ ١ / من ص ٥٤ إلى ص ١٠١ بيروت سنة ١٩٨٧ .

- ومن هؤلاء أيضًا : أسامة بن منقذ فى كتابه : البديع فى نقد الشعر من ص ١٢ إلى ص ٤٠ ط الحلبى سنة ١٩٦٠ .

- ومنهم : العلوى فى كتابه الطراز - انظر الجزء الثانى من ص ٣٥٥ إلى ٣٧٣ والجزء الثالث ص ٣٥١ - ٣٥٣ .

- وممن خص الجناس بكتاب مستقل : الصفدى وله فى ذلك « جناس الجناس » ط أولى سنة ١٩٨٧ بيروت .

- وللأستاذ على الجندى كتاب جليل القدر فى الجناس اسماه « فن الجناس » ط دار الفكر سنة ١٩٥٤ .

(٣) لابن المعتز كتاب « البديع » وهو أول كتاب يؤلف فى هذا الفن وقد نشره اغناطيوس كراتشقوفسكى سنة ١٩٥١ وتولت دار المسيرة ببيروت طباعته طباعة منقحة / طبعة ثالثة سنة ١٩٨٢ .

(٤) البديع / ابن المعتز / ص ٢٥ .

ويرى الصفدى أن الجناس ركن من أركان شريعة الشعر « وبيان شرعته ، وديباجة صنائعه فى صنعته ، وآية سجدته » [1] ويسترسل الصفدى فى الحديث عن أهمية الجناس قائلا : إنه « فى البديع خال خده وطراز برده وفص خاتمه وجود حاتمه » [2] .

ومهما يكن من أمر فإن حديث البلاغيين عن الجناس حديث طويل مستفاض ومتشعب ، ويعد الجناس على أية حال - « أقرب النمطيات إلى الناحية الصوتية الخالصة » [3] وله تفريعات متنوعة وأنواع متعددة ، ومع ذلك فإنه ينقسم عامة إلى نوعين رئيسيين هما :

أ - الجناس التام . ب- الجناس الناقص .

والجناس التام هو ما يصل فيه « التطابق التكرارى بين اللفظتين إلى حد الكمال فى اللفظ والوزن والحركة » [4] .

وقد حده البلاغيون بأنه اختلاف الكلمتين فى المعنى واتفاقهما فى أربعة وجوه هى : عدد الحروف وجنسها وضبطها وترتيبها ، وقد قسموه إلى : مركب وغير مركب ، والمركب ينقسم عندهم إلى مفروق ملفوف ومفروق مرفو ومقرون (متشابه) ، وغير المركب ينقسم إلى مماثل ومستوفى [5] ، ولهم فى هذا المجال تعريفات لكل قسم وإن اختلفوا أحيانا فى بعض المسميات [1] .

وأما الجناس الناقص فهو ما اختلفت فيه الكلمتان فى أمر من الأمور السابقة ،

(١ ، ٢) جنان الجناس / الصفدى / ص ١٥ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى سنة ١٩٨٧ م .

(٣) البلاغة والأسلوبية / د. محمد عبد المطلب / . ص ٢٢٠ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ .

(٤) جدلية الإفراد والتركيب / د. محمد عبد المطلب / ص ١٤٦ ط أولى سنة ١٩٩٥ - المكتب المصرى الحديث .

(٥) وذلك كما نقرأ فى الطراز عند الحديث عن التجنيس التام ، يقول العلوى « ويقال له المستوفى والكامل » جـ ٢ ص ٣٥٦ .

ولـــم يصل فـــيه التطابـــق الصوتـــى إلـــى حـد الكمال ، ومـن ثـــم فقـد تـعـددت أنواعـــه [١] .

ومن ينظـر فى شعر البستى فـلسوف يفاجأ منـذ أول وهلة بكثرة الجناسـات وأنواعها المتعددة ، وسوف يدهش من تكثيف الشاعر لهـا وكأنما كان يعمد إلى استخدام هذا النمط الصوتى عمدا حتى لنظن أنه كان غاية يهدف إلـيها من وراء نظمه لأشعاره وإعطائها قيمة تعبيرية وصياغة أدبية تسهم فى تشكيل شعره إسهاما فنيا مميزا ، ولا أدل على ذلك من أن هـذا اللـون قد احتل قائمة الأنماط الـصوتية عـددا ، وأتى فـيه الشاعر « بكل طـــريقة لطيفة » [٢] وبرع فى ذلك براعة لا حـد لها حتى ما يذكر الجناس إلا ذكـر البستى ، وما ذكر البستى إلا تبادر إلى الذهن فن الجناس .

وسوف اكتفى بضرب أمثلة دالة على مقدرة الـشاعر فى استخدام هذا اللون وتوظيفه توظيفا صوتيا بارعا ، وذلك كما نقرأ فى قوله :

سما وحمى بنى **سام وحام** فليس كمثلـــه **سام وحام** [٣]

ويعلق ابن حجة الحموى على هذا التجنيس التام الموجود فى هذا البيت قائلا : « أما أبو الفتح فإنـه ثابر على استعمال الجنـاس كثيراً ، ولكن ما أعلم أنه نـظم أحسن من هذا البيت ، وقد تجمل به نوع الجناس وكاد أن يكون تورية » [٤] .

ومن التجنيس البارع الذى يقدم فيه حزمتين صوتيتين تامتين قوله :

فلا تـبتئـس لصروف الـزمان ودعنـى فـــإن **يقينى يقينى** [٥]

---

(١) تعددت أنواع الجناس الناقص بناء على اختلاف الكلمتين فى شرط من الشروط التى ذكرها البلاغيون فى الجناس التام وتعـددت أيضًا مسميات كثير من هذه الأنواع ، ولا أرانـى فى حاجة إلى ذكر هذه التعريفات التى أطلقها البلاغيون على هذه الأنواع لكن على أية حال فمن الجناس الناقص : المضارع واللاحق والمصحف والمحرف والمقلوب والملفق والمذيل والمطرف وغير ذلك .

(٢) يتيمة الدهر / جـ ٤ ص ٣٤٥ .

(٣) ديوان البستى / ص ٧١ .

(٤) خزانة الأدب / ابن حجة الحموى / جـ ١ ص ٧٥ .

(٥) اليتيمة / جـ ٤ ص ٣٨٣ .

فلقد جانس جناسا تاما مستوفى غير مركب ، وهذا النوع هو الذى يتفق ركناه فى الاسم والفعل ، ويعرفه ابن أبى الإصبع بأنه هو الذى تتشابه فيه « الكلمتان لفظا وخطا وإحداهما اسم والأخرى فعل » [١] .

ورغم اختلاف الكلمتين فى النوع فقد استطاع البستى أن يوظفهما توظيفا صوتيا وفنيا بحيث جعل لكل كلمة دلالة معينة .

ومن الأبيات التى يذكرها البلاغيون كثيرًا فى باب الجناس قول البستى :

إذا ملك لم يكن **ذا هبه** فدعه فدولته **ذاهبه**[٢]

فلقد جانس البستى بين كلمتى « ذاهبه ، ذاهبه » بعد أن ركب الأولى من كلمتين هما « ذا » وجعلها خبر يكن وأضاف إليها كلمة أخرى وهى « هبه » وهذا ما يسميه البلاغيون الجناس المركب المفروق الذى لايجمع بين ركنيه الاشتقاق « لكن بينهما موافقة من جهة الصورة مع أن إحداهما من كلمتين والأخرى كلمة واحدة » [٣] .

ومن الجناس المركب المتشابه لفظا لا خطا وهو مفروق أيضًا قوله :

وإن أقر على رق **أناملة** أقر بالرق كتاب **الأنام له**[٤]

وهذا البيت يستحسنه ابن حجة الحموى رغم عدم اعتناقه مذهب الجناس [٥] .

ومن أنماط الجناس التى استخدمها البستى الجناس المطرَّف « وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الأول » [٦] ، ويطلق عليه ابن الأثير « التجنيس

(١) تحرير التجبير / ابن أبى الإصبع / جـ ١ ص ١٠٤ ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة سنة ١٩٩٥ .

(٢) ديوان البستى / ص ١٢ .

(٣) الطراز / جـ ٢ / ص ٣٦٠ ، وهذا هو المتشابه عند السكاكى وهو أن يقع أحد المتجانسين فى التام مركبا ولم يكن مخالفا فى الخط مفتاح العلوم / ص ٢٣٧ ط البابى الحلبى .

(٤) ديوان البستى / ص ٦٥ .

(٥) انظر / خزانة الأدب / جـ ١ ص ٥٩ .

(٦) خزانة الأدب / . جـ ١ ص ٨٤ .

المجنب » [١] وذلك كما نرى فى المثال التالى :

أبـا العـباس لاتحـسـب بأنـى بسنى من حلى **الأشعار عارى**
فلـى طبـع كسـلسـال معـين زلال من ذرى **الاحجار جارى**
إذا مـا اكـبـت الادوار زنـد فلى زند على **الأدوار وارى**[٢]

ومـن أنواع الجناس التـى استخدمها البستى أيضًا الجنـاس المرفو « وهو أن يكون أحد ركنى الجناس مركبا من جزء مستقل وجزء هو بعض كلمه » [٣] ويفرع الصفدى من هذا القسم ما رفئ بحرف من حروف المعانى ويستشهد بقول البستى :

فكـن حذرا ممـن يكـاتم سره فليس الذى يرميك جهرا **كمن كمن**[٤]

ويغلب علـى شعر البستى « الجناس المركـب » أو ما يسميه أسامة بن منـقد « تجنيس التركيب » ويستدل ابن منقد على ذلك بأكثـر من مثال من شعر البستى ويشير إلى أن شعر « البستى أكثره من هذا الباب وقد تبعه الناس فى ذلك » [٥] ، ومن الأمثلة التى يوردها ابن منقذ لهذا النوع من شعر البستى قوله :

ويسميه ابن رشيق التـجانس المنفصل ويقول إن أكثر من « يستعمـله الميكالى وقابوس

رأيـتـك **تكوينى** بمـيـسـم منَّةٍ كأنـك قد أصـبحـت علـة **تكوينى**
وتلوينى الحـق الـذى أنـا أهـلـه وتخـرج فى أمـرى إلى كـل **تلوين**
فـمهـلا ولا تمـنن علـىَّ فـبـلغـةٌ من العيش **تكفينى** إلى يوم **تكفينى**[٦]

(١) انظر ابن الأثير / المثـل السائر جـ ١ ص ٢٥٧ ويعرفه بـقوله « أن يجمع مؤلف الكلام بـين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى والجنبية لها » . ويسميه العلوى « المزدوج » انظر الطراز جـ ٢ ص ٣٦٤ .
(٢) الديوان / ص ٣٨ .
(٣) جنان الجناس / ص ٥٦ .
(٤) جنان الجناس / ص ٥٧ .
(٥) البديع فى نقد الشعر / أسامة بن منقذ / ص ٣٤ .
(٦) البديع فى نقد الشعر ص ٣٥ وانظر يتيمة الدهر جـ ٤ ص ٣٦٩ .

وأبو الفتح البستى » [١] .

ولايكتفى البستى بالتجنيس فى البيت الواحد فقد يجانس فى أكثر من بيت وخاصة بين القوافى ، وكأنما رأى أن التأثير الصوتى لهذا النمط التكرارى فى البيت الواحد لايكفى للتأثير على السامع إذ لابد من إقامة علاقات صوتية أكثر بين أكثر من بيت ، ومن ذلك قوله :

أنست بأيام الشباب وظلها وأنست دهرا فى جوارى **الجواريا**
فلما رأيت الشيب يبسم ضاحكا بكيت فأخجلت العيون **الجواريا**[٢]

وقوله :

يا من يضيع عمره متماديا باللهو **أمسك**
واعلم بأنك لامحا لة ذاهب كذهاب **أمسك**[٣]

ويمضى البستى على هذا المنوال فى كثير من شعره وإن دخل هذا فى باب « لزوم ما لايلزم » مرة وباب « التورية » مرة أخرى والحق أن البستى قد تفوق فى استخدام الجناس كما ونوعا حتى ما تكاد توجد قصيدة أو مقطوعة بل ونتفة وربما بيت بمفرده أحيانا إلا تملكه الجناس وسيطر عليه ، ومع ذلك فقد جاء هذا النوع من المستوى الصوتى عنده مقبولا غير ممجوج ولا مستقبح أو مرذول إذ جعل شعره « فى حاجة إليه بحيث إذا حذف منه لم يكن له الرونق والماء والبهاء »[٤] كما أنه حقق « بعد استكمال اللفظ وصواب المعنى نوعا من الجرس الرخيم والموسيقية الشاجية » [٥] ، وهذا من أمارات التجنيس المطبوع كما يرى الأستاذ على الجندى فى كتابه فن الجناس .

ومن أمارات التجنيس المقبول - عند الجرجانى - أن يقع معنيا اللفظتين [من العقل

(١) العمدة / جـ ١ ص ٣٢٨ .
(٢) ديوان البستى / ص ٣١ .
(٣) ديوان البستى / ص ٥٦ .
(٤) ، (٥) فن الجناس / على الجندى / ص ٥٥ - ط دار الفكر العربى سنة ١٩٥٤ م .

موقعا حميدا ﴾ [1] ، وهذا ما تحقق كثيرا فى تجنيس البستى .

٢ - رد العجز على الصدر :

وهو نمط صوتى آخر استعان به البستى فى إقامة علاقات قوية بين ألفاظ شعره ، وقد ألحَّ به لكى يعطى تناغما صوتيا عن طريق التكرار والتردد .

وهذا النوع من العلاقات الصوتية لم يأت سمجا أو متكلفا بل جاء مقبولا أيضًا ، وكما برع البستى فى استخدام الجناس الذى أعطى به بعدا صوتيا وفنيا رائعا فقد برع فى استخدام « رد العجز على الصدر » الذى أعطى به إيقاعا موسيقيا مباشرًا ، ونوّع فى طريقة الإيقاع ، وقد احتل هذا النوع من المستوى الصوتى المرتبة الثانية بعد الجناس عنده . « ورد العجز على الصدر » فى الشعر - عند البلاغيين - هو أن يأتى أحد اللفظين « فى آخر البيت والآخر فى صدر الصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى » [2] ومثال ذلك قوله :

قمر لم يبق منى حبه وهواه غير مقلوب قمر [3]

وقوله :

قد كنت أجزع من حلولك مرة والآن من خوف الترحل أجزع [4]

---

(١) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجانى / ص ٤ / ط صبيح ١٩٥٩ ، ولهذا يستحسن الجرجانى قول البستى :

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعانى أمت بما أودعانى

ولا يستحسن قول أبى تمام :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب

ويرى أن الفائدة ضعفت فى شعر أبى تمام بينما قويت فى شعر البستى فيقول ﴿ لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها الفائدة ، فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها ﴾ أسرار البلاغة ص ٤ .

(٢) الإيضاح / الخطيب القزوينى / ص ٢٢٠ ط صبيح سنة ١٩٦٦ م .

(٣) ديوان البستى / ص ٣٧ .

(٤) ديوان البستى / ص ٤٦ .

أعـدَّ الـفـيول ، وقـاد الخـيـول وصـيـر كـل عـزيـز ذلـيـلا[1]

وأما **التصريع** فواضح فى شعر البستى ، وقد جاءت معظم قصائده ومقطعاته ونتفه مصرعة ، وقد اعتبر قدامة التصريع من نعوت القوافى [2] واعتبر أن الفحول والمجيدين من الشعراء هم الذين « يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه » [3] .

وعده ابن الأثير : « دلالة على سعة القدرة فى أفانين الكلام » [4] وقسمه إلى سبع مراتب أعلاها « أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه فى فهم معناه غير محتاج إلى صاحبه الذى يليه ويسمى التصريع الكامل » [5] ، وأدناه « أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور » [6] .

وقد جاء معظم شعر البستى من الدرجة الأولى فى التصريع ومثال ذلك قوله :

زيـادة المرء فـى دنـيـاه نقـصـان وربحه غير محض الخير خسران[7]

وقوله :

كالـشمس نورا ولـكن ماله لـهب كالغيث جودا ولكن وبله الذهب[8]

ومن أشعاره التى جاءت غير مصرعة قوله :

قالوا مـشيبك قـد تبسم ضـاحكا وهـو الـنـهـار أتـاك بـالأنـوار[9]

ويتصل بـالحديث عن **التصريع** : **التقفية** التى لـها رنين موسـيقى خاص وهـى من خصـائص الـشعر وأداة مـن أدوات موسيـقاه الخـارجية ، بـل هى « شريـكة الـوزن فى

(١) ديوان البستى / ص ٧٩ .
(٢) انظر نقد الشعر - قدامة ص ٨٦ .
(٣) نقد الشعر - ص ٨٦ .
(٤) المثل السائر / جـ ١ ص ٢٣٧ .
(٥) المثل السائر جـ ١ ص ٢٣٧ .
(٦) المثل السائر جـ ١ ص ٢٤٠ .
(٧) ديوان البستى / ص ١٠ .
(٨) ديوان البستى / ص ٩ ، وهذه المقطوعة المكونة من خمسة أبيات منها ثلاثة أبيات مصرعة .
(٩) ديوان البستى / ص ٣٢ .

الاختصاص بالشعر » [1] .

وقد التزم البستى نظام القافية الموحدة فى كل أشعاره : قصائد ومقطعات ونتفا ، ولم يفلت من ذلك النظام إلا البيت المفرد بطبيعة الحال .

٤ - المراجعة :

وهى « أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث جرت بينه وبين غيره أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ إما فى بيت واحد أو فى أبيات » [2] .

ومثال ذلك من شعر البستى قوله :

يقولون : ذكر المرء يبقى بنسله ... وليس له ذكر إن لم يكن نسل

فقلت لهم : نسلى بدائع حكمتى ... فمن سره نسل فإنا بذا نسلو[3]

وقد جاءت هذه المراجعة فى شعره قليلة بل نادرة .

٥ - ألوان صوتية أخرى :

أ - التوشيع :

ويعرف بالتوسيع ، ويعرفه العلوى بأن المتكلم يأتى « بمثنى يفسره بمعطوف ومعطوف عليه وذلك من أجل أن التثنية أصلها العطف » [4] ومثال ما جاء فى شعر البستى - وهو قليل جدًا - قوله :

صلاح العباد ورشد الأمم ... وأمن البرية من كل غم

بشيئين مالهما ثالث ... بحزق الحسام ورفق القلم[5]

---

(١) العمدة / جـ ١ ص ١٥١ .

(٢) تحرير التحبير / ص ٥٩٠ .

(٣) ديوان البستى / ص ٦٥ .

(٤) الطراز / جـ ٣ ص ٨٩ .

(٥) ديوان البستى / ص ٧٠ .

ب - لزوم ما لايلزم :

ويسمى الالتزام « وهو فى الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية » [١] وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام : التزام الحركة وحدها والتزام الحرف والتزام الحرف والحركة [٢] .

وقد ألزم البستى نفسه فى كثير من شعره بهذا المستوى الصوتى وخاصة فى مقطعاته ونتفه ومن ذلك قوله :

قدم لنفسك خيرا وأنت مالك مالك
من قبل أن تتفانى ولون حالك حالك
لم تدر أنك حقا أى المسالك سالك
وأنت لابد يوما بعد التكاهل هالك[٣]

العلاقات المعنوية : « المحسنات المعنوية »

إذا كان البستى قد برع فى إنشاء علاقات صوتية كثيرة ربط بها بين ألفاظ شعره ، وتمثلت هذه العلاقات أكثر ما تمثلت فى التجنيس ورد الإعجاز على الصدور والتصريع والتقفية ، فإنه برع أيضًا فى إقامة علاقات معنوية بين كثير من هذه الألفاظ فجاءت تحمل دلالات معنوية متعددة ، ولعل أهم وأبرز هذه العلاقات فى شعره ما يلى :

١ - التضاد [الطباق والمطابقة . التكافؤ . المقابلة]

وجمال هذه الألوان من العلاقات المعنوية يكمن فى تداعى المعانى فالضد يجعل الذهن يستدعى ما يقابله أو يضاده ، ويؤدى إلى نوع من المقارنة كما يجعل الأشياء تتمايز وتتضح .

---

(١) انظر المثل السائر / جـ ١ ص ٢٦٢ .
(٢) انظر البلاغة الفنية / على الجندى ص ٦ / ٧ ط ٢ الأنجلو سنة ١٩٦٦ .
(٣) ديوان البستى / ص ٥٦ .

ويعرف البلاغيون **المطابقة** [١] بقولهم إنها : « الجمع بين متضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة » [٢] ، ويقول أبو هلال العسكرى : « إنها الجمع بين الشىء وضده فى جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت الشعر » [٣] .

ويقسم البلاغيون المطابقة إلى ضربين : حقيقى ومجازى ، وكل منهما قسمان لفظى ومعنوى فما كان [بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطباق] [٤] ، « وما كان بألفاظ المجاز أو بعضه سموه تكافؤا » [٥] ثم قسموا الطباق إلى : طباق سلب وطباق إيجاب وطباق ترديد .

وقد احتلت المطابقة المنزلة الأولى بين العلاقات المعنوية فى شعر البستى ومن ذلك قوله :

رب شعر لما مدحتك فيه ... سار فى العالمين بعدا وقربا

فكأنى أودعته فلك الشمـ ... ـس فعم البلاد **شرقا وغربا**[٦]

وقوله :

كل **صعود** إلى **هبوط** ... كل نفاق إلى كساد[٧]

وفى هذه الأمثلة يتضح طباق الإيجاب وهو طباق حقيقى ، ومن التكافؤ قوله :

ومن بنى قدره بالمجدورثه ... أسلافه لابعلياه فقد هدمه[٨]

---

(١) لأهمية هذا اللون وظهوره فى الأدب كثيرًا جعله ابن المعتز بابا من أبواب كتابه « البديع » .

(٢) التلخيص / ص ٣٤٨ .

(٣) الصناعتين . وقد أشار كل من ابن رشيق وأبى هلال العسكرى إلى أن قدامة قد خالف هذا التعريف .

(٤) بديع القرآن / ص ٣١ .

(٥) بديع القرآن / ص ٣١ .

(٦) ديوان البستى / ٧ .

(٧) ديوان البستى / ٢٤ .

(٨) ديوان البستى / ٧٠ .

ومن التكافؤ أيضًا قوله :

تمسكت منه إذ بلوت إخاءه على حالتى خفض النوائب والرفع[1]

ومن طباق السلب قوله :

وكأن صروف الدهر بى قد توسدت فصرت كأن الدهر لم يتوسد بى[2]

ومن الملاحظ فى فن الطباق عند البستى أنه يكثر من استخدام النوع الأول وهو « الطباق الحقيقى الموجب » ويأتى بعد ذلك استخدامه للتكافؤ ثم يحتل طباق السلب المرتبة الثالثة فى فن الطباق عنده .

وأما **المقابلة** فهى عبارة عن طباقات ممتدة تستدعى أضدادا أكثر وتدفع إلى استدعاءات معنوية أكثر مما يستدعيه الطباق ، وهى عند البلاغيين نوع من المطابقة ؛ ولذا يقول القزوينى : « ودخل فى المطابقة ما يخص باسم المقابلة » [3] .

ويعرفها البلاغيون بأنها « إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ » [4] على الترتيب ؛ لأن المتكلم إن أخل بهذا « الترتيب كان الكلام فاسد المقابلة » [5] .

ولكن هناك فروقا بين المطابقة والمقابلة منها « أن المطابقة لاتكون إلا بالجمع بين ضدين فذين والمقابلة تكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد : ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه ، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد » [6] ، وإلى هذا يشير ابن رشيق بقوله « فإن جاوز الطباق ضدين كان مقابلة » [7] .

ومن هذه الفروق « أن المطابقة لاتكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وبغير

(١) ديوان البستى / ٤٧ .
(٢) ديوان البستى / ٨ .
(٣) الإيضاح / ص ١٩٥ .
(٤) الصناعتين / ص ٣٣٧ .
(٥) بديع القرآن / ص ٧٣ .
(٦) تحرير التحبير / ص ١٧٩ .
(٧) العمدة / جـ ٢ / ص ١٥ .

الأضداد » [1] .

وقد وقعت المقابلة فى شعر البستى فى بعض المواضع مستعينا بها على إقامة علاقات معنوية ذات دلالات معينة وذلك عن طريق تداعى المعانى كما نرى فى قوله :

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حى والسكوت جماد[2]

وكما نجد فى قوله :

فالعقل يستوفى الفضائل كلها كما الجهل مستوف جميع الرذائل[3]

ورغم أن المقابلة تستدعى معانى متضادة أكثر من الطباق فإنها جاءت فى شعر البستى قليلة جدًا إذا قيست بما ورد فيه من طباق ، وكأنما كان الطباق أداة سهلة فى يد البستى لإقامة العلاقات المعنوية بين المتضادات .

٢ - التورية :

وهى من المحسنات التى تحمل دلالات معنوية ، وتستدعى معانى تجعل الذهن يكد فى البحث عنها ، ولها مسميات أخرى عند البلاغيين مثل الإيهام والتخييل والتوجيه ، وهى عندهم « أن يطلق لفظ له معينان : قريب وبعيد ، ويراد به البعيد منهما » [4] فنورى عنه بالآخر ويقسمها البلاغيون إلى **مجردة** : وهى التى لايذكر معها شىء من لوازم المعنى القريب أو يذكر لازمان لكل من القريب والبعيد ، ومرشحه وهى التى يذكر معها لازم من لوازم المعنى القريب .

---

(١) تحرير التحبير / ص ١٧٩ وتنقسم المقابلة عند العلوى إلى أربعة أضرب هى :

أ - مقابلة الشىء بضده من جهة لفظه ومعناه .

ب - مقابلة الشىء بضده من جهة معناه دون لفظه .

جـ - مقابلة الشىء بما يخالفه من غير مضاده .

د - مقابلة الشىء بما يماثله .

انظر الطراز جـ ٢ من ص ٣٧٨ - إلى ٣٨٨ .

(٢) ديوان البستى / ص ٢٥ .

(٣) ديوان البستى / ص ٦١ .

(٤) الإيضاح / ص ٢٠١ .

والحق أن التورية تدل على تلاعب بالمعانى كما تدل على « تفنن فى الكلام واتساع فيه ، وتدل على تصرف بالغ وقوة على تصريف الألفاظ واقتدار على المعانى » [١] .

وقد جاءت التورية فى مواضع متفرقة - لكنها ليست كثيرة - فى شعر البستى ومن ذلك قوله :

أشفِقْ على المال والعين تسلم من العينة والدين[٢]

فالعين هنا ليس المقصود بها أداة الإبصار وإنما المقصود بها المال والشىء النفيس .

ونجدها أيضًا فى قوله :

كلام لأبى نصر موفى واجب النحل

فما أدرى جنى النحل أرانى أم جنى النخل[٣]

والمقصود بالنحل فى البيت الأول : الهبة والعطاء .

٣ - المذهب الكلامى :

يبدو أن هذا اللون كان منتشرًا فى عصر ابن المعتز ؛ ولذا جعله بابا من أبواب كتابه الرائد فى علم البديع ولعل سبب انتشاره هو وجود فرق الكلام ، ومن ثم جاءت هذه التسمية وقد نسب ابن المعتز تسميته إلى الجاحظ فقال « هو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامى » [٤] .

ورغم ادعاء ابن المعتز بأنه لم يجد منه شيئًا فى القرآن الكريم فإن ابن أبى الإصبع يخصص له بابا فى كتابه « بديع القرآن » .

---

(١) الطراز / جـ ٣ - ص ٦٢ .

(٢) اليتيمة / جـ ٤ ص ٣٨٢ .

(٣) اليتيمة / جـ ٤ ص ٣٦٦ .

وقد ورد البيتان فى الديوان على النحو التالى :

كلام لأبى نصر موفى واجب النخل

فما أدرى جنى النخل أرانى أم جنى النحل - ص ٦٠

(٤) كتاب البديع / ابن المعتز / ص ٥٣ .

ويعرف أهل البلاغة هذا اللون بقولهم « أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام » [١] ليثبت صحة دعواه ويبطل دعوى الخصم « بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة » [٢] .

والباحث عن هذا اللون فى شعر البستى يمكن أن يجده مبثوثا فى مواضع كثيرة منها قوله :

لاتحقر المرء إذا رأيت به ... دمامة أو رثاثة الحلل

فالنحل شيء على ضوءلته ... يشتار منه الفتى جنى العسل[٣]

ومنها قوله :

إن كنت تانس بالحبيب وقربه ... فاصبر على حكم الرقيب وداره

إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ... بوّاك فى مثوى الحبيب وداره[٤]

وقوله :

وإنى لأختص بعض الرجال ... وإن كان فدما ثقيلا عياما[٥]

فإن الجبن - على أنه ... ثقيل وخيم - يُشهِىّ الطعاما

وثمة ألوان بديعية أخرى لفظية ومعنوية فى شعر البستى لكنها أقل دورانا من هذه الألوان المذكورة فى هذه الدراسة .

(١) الإيضاح / ص ٢٠٨ .
(٢) خزانة الأدب / جـ١ ص ٣٢٦٤ .
(٣) ديوان البستى / ص ٦٣ .
(٤) ديوان البستى / ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٥) اليتيمة / جـ ٤ ص ٣٥٨ .

خـاتمـة :

١ - تكشف هذه الدراسة عن أهمية علم البديع فى البحوث الأدبية ، وأن دراسته وتطبيقه شىء يـجب الاهتمـام به ؛ فهـو ليست دراسـة هامشـية ، وليـس نوعا من الحـلى والزخرفة بل هـو بالإضافة إلى ذلك أداة تعبيريـة تسهم فى تشكيل الصـياغة الأدبية إسهاما واضحا وتكسب الأسلوب رونقا وبهاء بشرط ألا تطغى على النواحى الفنية .

٢ - تشير الدراسة إلى أن الـبستى قد استطاع أن يوظف كثيرًا من ألـوان البديع فى شعره توظيفا فنيا وأن يعطى به للشعر بعدا خاصا .

٣ - استطاع البستى بمقدرته الشعرية أن يقيم عـلائق صوتية ومعنوية كثيرة بين ألفاظ شعره وأن يبرع فى ذلك براعة واضحة .

٤ - يمثل لنا شعر البستـى طفرة فى عالم البديع فهو فى تصورى - بتكثيـفه وتنويعه لكثير من الألوان البديعية - يحتل مكانة بارزة لم يحتلها شعر منذ أن انتهى علم البديع إلى أبى تمام ، والحق أن البـستى قد انتهى عنده عـلم البديع وأوفى به إلى غـاية الغايات التى لا مزيد عليها .

٥ - تدلنا هذه الدراسة على تفوق الجانب الصوتى فى شعر البستى فلقد أكثر من استخدام المحسنات اللفظية بدرجة تفوق استخدامـه المحسنات المعنوية ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أهمل تلك العلائق المعنوية .

٦ - يستـطيع الباحث الادعـاء بأن البستى هـو أستاذ فن الجناس فـى الشعر العربـى كما ونوعا، ولهذا فمن الضرورى أن تكون هناك دراسة تالية تخصص « لفن الجناس عند البستى » فقط .

٧ - رغم كثرة الألـوان البديعية فى شـعر البستى فإنهـا لم تأت ممجموجة أو سـمجة بل جاءت زينة وزخرفة مقبولة زادت شعره جمالا .

٨ - تدلنا هذه الدراسة على قيمة شعر البسـتى الذى أهمل زمنا طويلا ، كما تكشف عند الحاجة إلى جمـع هذا الشعر وتحقيقه ودراستـه فالديوان المطبوع لايضم شعـر البستى كاملا ولا هو محقق على الإطلاق تحقيقا علميا جيدًا .

المصادر والمراجع :

أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجانى تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا	ط صبيح - مصر سنة ١٩٥٩ م
الأعلام	الزركلى	ط دار العلم - بيروت
الأنساب	السمعانى	ط ـ دائرة المعارف العثمانية
الإيضاح	الخطيب القزوينى	ط صبيح سنة ١٩٩٦ م
البداية والنهاية	ابن كثير	ط السعادة
البديع	ابن المعتز	ط ٣ دار المسيرة سنة ١٩٨٢
بديع القرآن	ابن أبى الإصبع تحقيق حفنى محمد شرف	ط نهضة مصر بدون تاريخ
البديع فى نقد الشعر	أسامة بن منقد تحقيق د.أحمد أحمد بدوى وزميلاه	ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٦٠ م
بلاغة الخطاب وعلم النص	د. صلاح فضل	ط دار نوبار - القاهرة
البلاغة الغنية	على الجندى	ط الأنجلو سنة ١٩٦٦
البلاغة والأسلوبية	د. محمد عبد المطلب	ط الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٨٤
تاريخ الأدب العربى جـ ٥ عصر الدول والإمارات (الجزيرة - العراق - إيران)	د. شوقى ضيف	ط دار المعارف مصر سنة ١٩٨٠

تاريخ الأدب العربى جـ ٣	د. عمر فروخ	ط دار العلم - لبنان سنة ١٩٨٤
تحرير التحبير	ابن أبى الإصبع تحقيق د. حفنى محمد شرف	ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة سنة ١٩٩٥
جدلية الإفراد والتركيب فى النقد العربى القديم	د. محمد عبد المطلب	ط المكتب المصرى الحديث القاهرة سنة ١٩٩٥
جنان الجناس (فى علم البديع)	صلاح الدين الصفدى تحقيق سمير حسين حلبى	ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٧
خزانة الأدب وغاية الأرب	ابن حجة الحموى شرح : عصام شعيتو	ط دار ومكتبة الهلال بيروت سنة ١٩٨٧
دائرة المعارف الإسلامية	مجموعة مستشرقين	ط الشعب - مصر
ديوان البستى	البستى	ط جمعية الفنون - بيروت سنة ١٢٩٤ هـ
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلى	ط المكتب التجارى
الصناعتين	أبو هلال العسكرى تحقيق : على محمد البجاوى د. محمد أبو الفضل إبراهيم	ط المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٩٨٦
طبقات الشافعية	السبكى تحقيق : محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو	ط عيسى البابى الحلبى

الطراز	يحيى العلوى	ط دار الكتب العلمية - بيروت
العبر	الذهبى تحقيق : فؤاد سيد	ط الكويت سنة ١٩٦١
العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده	ابن رشيق القيروانى	ط ٥ دار الجيل بيروت سنة ١٩٨١ م
فن الجناس	على الجندى	ط دار الفكر العربى - مصر سنة ١٩٥٤ م
الفن ومذاهبه فى الشعر العربى	د. شوقى ضيف	ط دار المعارف - مصر سنة ١٩٧٨ م
المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر	ابن الأثير تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد	ط العصرية - بيروت سنة ١٩٩٠ م
معجم البلدان	ياقوت الحموى	ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩٠ م
مفتاح السعادة	طاش كبرى زادة مراجعة وتحقيق : كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور	ط دار الكتب الحديثة - عابدين بدون تاريخ
مفتاح العلوم	السكاكى	ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٩٠
النجوم الزاهرة	ابن تغرى بردى	ط دار الكتب المصرية
نقد الشعر	قدامة بن جعفر تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجى	ط الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٨

وفيات الأعيان	ابن خلكان تحقيق د. إحسان عباس	ط دار الثقافة - بيروت
يتيمة الدهر	الثعالبى شرح وتحقيق د. محمد مفيد قميحه	ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٣